تعظيم المَصاحف

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(تلاوة القرآن المجيد)

من الصفحة ١٨٩ حتى الصفحة ٢٠٣

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيِّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

تعظيم المصاحف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فقد أخبر سبحانه أن هذا القرآن كريم أي: مكرَّم معظَّم، ومن ثَمَّ لا يَمَسُّه في الملأ الأعلى إلا الملائكةُ، وتلك الأرواحُ العالية القدسية، لأنهم مطهَّرون أصفياءُ أنقياءُ، وحُقَّ له ذلك، لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

وفي هذه الآيات الكريمة بيانٌ من الله تعالى وإعلام منه لعباده؛ بشرف هذا القرآن الكريم في الملأ الأعلى، ومجده وَرِفْعة شأنه، وذلك ليشرِّفه أهلُ الأرض ويعظِّموه ويكرِّموه، مقتدين بالملأ الأعلى في تمجيدهم وتعظيمهم لكتاب ربهم.

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾.

فبيَّن سبحانه أن صُحُف هذا القرآن الكريم مكرمة، مرفوعة المكانة في الملأ الأعلى، مطهَّرة من كل دَنَس، وزيادة ونقص وخلل، وأنه بأيدي الملائكة الذين هم سَفَرَةٌ بين الله تعالى وبين خلقه، وهم كِرام الأخلاق والخصال والشِّيَم، بَرَرة الأفعال

والأعمال والأقوال، فطوبى لمن تشبَّه بهم في تمجيدهم وتعظيمهم وتكريمهم لهذا الكتاب الكريم، وفي أخلاقهم وأعمالهم وعباداتهم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الذي يَقْرأُ القرآن وهُو ماهرٌ به مع السَّفَرة الكرام البررة» الحديث كما تقدم.

اللهم اجعلنا منهم ـ اللهم آمين.

فهذا القرآن الكريم شأنه عظيم، ومقامه كريم، لأنه تنزيل من رب العالمين، على أفضل الأولين والآخرين، والنازلُ به هو الروح الأمين، ذو المكانة والسيادة، والرتبة العالية والقيادة، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

فكان هذا المكين جبريل عليه السلام، المطاع الأمين، إذا نزل بآياتِ الله تعالى نزل معه مَوْكِبٌ حافل من الملائكة الكرام عليهم السلام، يَحُفون بما نزل به من كلامِ المَلِك العلاَّم ـ إجلالاً وإعظاماً، وتهيُّباً وإكراماً.

وقد تقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن معقل بن يسار رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البقرة سَنامُ القرآن وذِرْوَتُه، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً» الحديث.

وما ذلك إلا لتفخيم أمرها، وتعظيم شأنها، وبيان فضلها وكرامتها.

كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ سورة الأنعام لما

نزلت: «نزل معها سبعون ألفَ ملكٍ، يُشَيِّعونها، لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد».

كما رواه الطبراني وغيره.

وفي رواية الحاكم في: (المستدرك) عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام سبَّح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «لقد شَيَّع هذه السورةَ من الملائكة ما سَد الأفُق».

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وفي رواية ابن مَرْدُويه عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نزلتْ سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سَدَّ ما بين الخافقين، لهم زَجَل بالتسبيح، والأرض بهم ترتجُّ».

قال أنس رضي الله عنه: وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم»[1].

ومن أجل حرف - أي: طرفِ جملة - وهو قول الله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ نزل جبريل ومعه موكب من الملائكة - يُلْقِي ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كما روى البخاري، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: (أملى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمليها عليَّ فقال: يا رسول الله، والله

---

(١) انظر جميع ذلك في: (تفسير) ابن كثير و(الدر المنثور).

لو أستطيع الجهادَ لجاهدتُ ـ وكان أعمى رضي الله عنه.

فأنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾.

فانظر في كرامة هذا القرآن الكريم على الله تعالى، حَتىٰ إنَّ جبريل الأمين المكين ينزل من أجل بعض آية، ثم انظُر في واجب إكرام هذا القرآن الكريم عند خلق الله تعالى.

فحقٌّ حقيق على كل مسلم أن يُجِلَّ هذا القرآنَ الكريم ويعظمه.

وتعظيم القرآن الكريم يتطلب عدة أمور:

منها: تعظيم المصحف، لما فيه من الصحف التي رسمته، واحتوت عليه وجمعته.

وقد روى ابن أبي داود في كتاب: (المصاحف) عن إبراهيم التيميِّ قال: كان ـ أي: في عصر الصحابة رضي الله عنهم ـ يقال: عظِّموا المصاحف. اهـ.

ومن تعظيم المصحف وتكريمه: أن يُرفع ولا يُوضع على الأرض، وذلك لأن هذا القرآن كريم، والكتاب الذي كُتب فيه وجَمَعه مُكرم ومعظَّم، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾، وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ المقدَّس المعظم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾.

فالكتاب والصحف التي كُتب فيها كلمات القرآن الكريم مكرَّمة معظَّمة، لما حَوَتْه وجمعته، وإن الكتاب والصحف تَشْرُف وتَعظُم وَتَكْرُم على حسب ما احتوت عليه وَكُتِبَ فيها، ولا أشرف

ولا أمجد ولا أعظم من آيات الله تعالى وكلماته، فيجب تعظيم الصحف الجامعة لها.

وإذا كان الأمر كذلك: فإن وضع الكتاب على الأرض لا يعدُّ من باب التكريم ولا التعظيم لذلك الكتاب، كما هو ظاهر معلوم بالبداهة، بل وضع الكتاب على الأرض يُؤْذِن بعكس ذلك، ألا ترى من البديهي أن من أراد أن يحترم كتابك رفعه بين يديه، بل ربما رفعه على موضع مرتفع مُكَرَّم، ولو وضع كتابك المرسَل إليه على الأرض أمامك حين يُقدَّم إليه لَكَبُرَ ذلك عليك.

إذاً وضع المصحف على الأرض ليس تكريماً للمصحف قطعاً، وإن الشرع يأمر بتكريمه، لأنه قرآن كريم في كتاب مكنون، ولأنه في أم الكتاب عند رب العزة لعلي حكيم، بل من التكريم له أن يُرفع عن الأرض ولا يوضع عليها.

المصحف يُعَظَّم وَيُكَـرَّم ولو بلِيت أو تشقَّقتْ صحفه

قال في: (الدر المختار): المصحف إذا صار بحالٍ لا يُقرأ فيه يدفن؛ كالمسلم. اهـ

قال في: (رد المحتار): أي: يُجعل المصحف في خِرْقَة طاهرة، ويُدفن في محل غير ممتَهَن لا يوطأ.

قال: وفي: (الذخيرة): وينبغي أن يُلحَد له ولا يُشق له لأنه ـ أي: الشِّق ـ يحتاج إلى إهالة التراب عليه، وفي ذلك نوع تحقير، إلا إذا جَعَل فوق المصحف سقفاً، بحيث لا يصل التراب إليه فهو حسن أيضاً.

وفي: (شرعة الإسلام): وإذا بَلِي المصحف واندرس ما فيه

فإنه يُلَفُّ في خِرقة طاهرة، ويدفن في مكان طيب لا يصيبه قذر، ولا يطأه أحد. اهـ

وقال في: (شِرْعة الشِّرعة): وفي: (شرح النِّقاية): ورقة كتب فيها اسم الله تعالى، وكذلك أسماء الأنبياء والملائكة واستُغْني عنها تُلْقَى في الماء الجاري، أو تدفن في أرض طاهرة، ولا تُحرق بالنار ـ أشار إليه الإمام محمد في السِّيَر الكبير.

قال في: (الذخيرة): وبه ـ أي: بقول الإمام محمد ـ نأخذ. اهـ.

وفي: (السراجية): تُدفن أو تُحرق.

وكذلك في: (الفتاوى التاتارخانية). اهـ

قال: وفي (القُنْية): لا يجوز في المصحف الخَلَق ـ أي: الذي بَلِيت أو تشققت صحفه ـ الذي لا يصلح للقراءة فيه، لا يجوز أن يُجلَّد به القرآن. اهـ.

أي: لا يجوز أن تُجعل صحفُه جِلداً لمصحفٍ آخر.

فاعتبر وادَّكر أيها العاقل! فإن المصحف فيه كلام الله تعالى، وإن فضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه، كما تقدم في الحديث الشريف.

ومن أكرم كلام الله تعالى فقد أكرم الله تعالى.

ونقل في: (شرح الشِّرعة) عن: (البزازية) أنه لا يَجوز مدُّ الرِّجل إلى المصحف، إلا أن يكون المصحف مرفوعاً، بحيث لا تقع المحاذاة بين موضع المصحف وبين الرِّجْل.

قال: فإنه لا يكره حينئذ، وكذلك لو كان معلَّقاً في وَتِد ومدَّ

رجله إلى الأسفل، لأن المصحف على العلوِّ فلم يُحاذِه. اهـ بتصرف قليل.

وبهذه المناسبة نقول: قد نص الفقهاء على كراهة مدِّ الرِّجْل إلى القِبْلَةِ، والدليل على ذلك أن جهة القبلة معظَّمة ومحترمة، لأنها الجهة التي يُقبِل فيها العبد على ربه في صلواته وعباداته ودعواته، وإنه يتجلى سبحانه على عباده في صلواتهم ودعواتهم وعباداتهم، وطوافهم في قبلتهم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما في: (سنن) الترمذي وغيره: «فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله يَنصِب وجهه لوجه عبده ما دام في صلاته» الحديث.

وفي: (سنن) أبي داود وغيرها، عن جابر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أيُّكم يحبُّ أن يُعرِض الله عنه؟ إن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تعالى قِبَل وجهه، فلا يَبْصُقَنَّ قِبَل وجهه، ولا عن يمينه، ولْيَبْصق عن يساره تحت رجله اليسرى» الحديث.

فجانب القِبْلَة مكرم ومحترم شرعاً، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استقبال القبلة واستدبارها حالة البول أو التغوُّط ـ تكريماً لها وتعظيماً، لأن حالة التَبَـوُّل والتغوط ليست مكرمة ولا معظمة، فلا ينبغي أن يَستقبل القبلة وهو على تلك الحالة.

روى البخاري ومسلم، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا أتيتم الغائط

فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكنْ شَرِّقوا أو غرِّبوا».

قال أبو أيوب رضي الله عنه: فلما قَدِمنا الشامَ وجدنا مراحيض قد بُـنِيتْ قِبَل القبلة، فننحرف عنها ونستغفر الله تعالى.

وفي هذا كله دليل صريح في أن جانب القبلة معظم ومحترم، ومكرم شرعاً، ولذلك كان المجلس الذي استُقْبِل به القبلة له السيادة على غيره، وله الشرف على غيره، وله الكرامة على غيره، كما جاء في الأحاديث النبوية.

كما أورد ذلك الحافظ المنذري في: (الترغيب) في الجلوس مستقبل القبلة فقال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لكلِّ شيء سيداً، وإن سيد المجالس قِبالة القبلة» رواه الطبراني بإسناد حسن.

قال: ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكرمُ المجالسِ ما استُقْبِل به القبلة» رواه الطبراني في: (الأوسط).

ورُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لكل شيء شرفاً، وإن أشرف المجالس ما استُقْبل به القبلة» رواه الطبراني.

فهذه الأحاديث تدلُّ على شرف جانب القبلة وكرامته وسيادتـه، وإذا كان الأمر كذلك فليس مـدُّ الرجْل للقبلة تشريفاً لها، ولا تكريماً لها، ولا أدباً لائقاً بجانب القبلة، فإن من المعلومات البدهيـة أن مـدّ الرجل إلـى العظمـاء أو الأشراف، أو السـادات،

أو الأفاضل يُعتبر إساءة وتهاوناً وخروجاً عن حدود الأدب، وقد أثبتت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشرفَ والسيادة والكرامة لجانب القبلة.

فاعتبرْ، والزمِ الأدب، فجانب القبلة معظم ومحترم، لأنه مُتَّجَه العبد إلى ربه في صلواته وعباداته كما تقدم، كما أنه متَّجَه العبد إلى ربه في دعواته وابتهالاته.

وقد روى الترمذي والنسائي، والإمام أحمد ـ واللفظ له ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي يُسمع عند وجهه كدويِّ النحل، فلبثنا ساعة، فاستقبَلَ القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زِدْنا ولا تَنْقُصْنا، وأَكرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأَعْطِنا ولا تَحْرِمنا، وآثِرْنا ولا تُؤْثِر علينا، وارْضَ عنا وأَرْضِنا».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد أُنزل عليَّ عشرُ آياتٍ مَن أقامَهن دخل الجنة» ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر).

فالقبلة معظمة شرعاً ومحترمة، والمتوجِّه إليها ينبغي أن يتصف بصفة المحترِم والمعظِّم لها.

كانوا يُقَبِّلون المصحف ويتمسحون به

روى الدارمي بإسناد صحيح، أن عكرمة بن أبي جهل ـ الحي ابن الميت ـ رضي الله عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول: (كتاب ربِّي) ـ أي: هذا كتاب ربنا، أنزله إلينا بواسطة رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أي: ومن جاءَه كتاب من عظيم فينبغي له أن ينظر فيه، فكيف

بالقرآن العظيم النازل من عند رب العرش العظيم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذي الخُلُق العظيم.

ونقل في: (الدر المختار) أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يأخذ المصحف كلَّ غداة ويقبِّله ويقول: (عهدُ ربي، ومَنْشورُ ربي عزّ وجلّ).

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقبِّل المصحف ويمسحه على وجهه. اهـ.

كانوا يستحبُّون النظر في المصحف إذا أصبحوا

نقل الحَلِيمي في: (شُعَبِ الإيمان) عن يونس بن عُبَيْد رحمه الله تعالى أنه قال: كان خُلُقاً للأولين النظرُ في المصحف.

وقال الأوزاعي رضي الله عنه: كان يُعجبهم النظر في المصحف. اهـ

وقال صاحب: (القوت): كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون في المصحف، ويستحبون أن لا يخرج يوم إلا وقد نظروا في المصحف.

قال: وخَرَّق عثمان بن عفان رضي الله عنه مصحفين من كثرة دَرْسِه فيهما. اهـ.

وقال العلامة الفاسيُّ رحمه الله: كان الأئمة والصالحون من السلف: أول ما يبدؤون به إذا أصبحوا النظر في المصحف، وكانوا يأمرون مَنِ اشتكى بصرَه أن ينظر في المصحف. اهـ.

كانوا يستحبون توريث المصحف

وفي ذلك نوع من التعظيم للمصحف والتكريم له، لأن شأن العاقل أن يورِّث ما هو عزيز عليه، كريم لديه، محبوب إليه، يورثه لمن يحبه، ولأجل أن يجري عليه أجر القارىء فيه من بعده.

فقد روى ابن ماجه بإسناد حسن، والبيهقي وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن مما يَلحقُ المؤمنَ مِن عمله وحسناته بعد موته: علماً علَّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

النصيحة لكتاب الله تعالى واجبة ولها مطالبها

روى الإمام مسلم، عن تميم الداريِّ رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً.

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم».

ورواه الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن لا يَهتمُّ بأمر المسلمين فليس منهم، ومَن لم يُمْسِ ويصبحْ ناصحاً: لله؛ ولرسوله؛ ولكتابه؛ ولإمامه؛ ولعامة المسلمين فليس منهم».

فالنصيحة لكتاب الله تعالى من أهم واجبات الدين، وأعظمها

وأشدِّها مسؤوليةً عند الله تعالى، والنصيحة لكتاب الله تعالى لها متطلَّبات عديدة.

وقد نقل الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى عن الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه: (تعظيم قدر الصلاة) عن أهل العلم من السلف الصالح في مطالب النصحية لكتاب الله تعالى قولهم:

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى: فَشدَّة حبه وتعظيم قدره، إذْ هو كلام الخالق عز وجلَّ، وشدةُ الرغبة في فهمه، وشدَّة العناية في تدبُّره، والوقوف عند تلاوته، لطلب معاني كتاب مولاه أن يفهمه عنه أو يقوم به له ـ أي: لله تعالى بعدما يفهمه عنه ـ.

وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية مَن ينصحه إن ورد عليه كتاب مَن عُني بفهمه، ليقوم بما كَتب فيه إليه، فكذلك الناصح لكتاب رَبِّـه يُعنىٰ بفهمه، ليقوم لله بما أمره به، كما يُحب ربنا ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويُديم دراسته بالمحبة له، والتخلُّق بأخلاقه، والتأدب بآدابه. اهـ.

ثم نقل الحافظ ابن رجب عن أبي عمرو ابن الصلاح رحمه الله تعالى قوله: والنصيحة لكتاب الله تعالى: الإيمان به، وتعظيمه، وتنزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهُّم علومه وأمثاله، وتدبُّرُ آياته والدعاء إليه، وذَبُّ تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه. اهـ

ومن واجبات النصيحة لكتاب الله تعالى: التزامُ العمل به، معتقداً أنه الحق المبيِّن لجميع الحقوق والواجبات.

قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ الآية.

ومعتقداً أنه هو القول الفاصل بين الحق والباطل.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾.

وفي هذا يُقْسم سبحانه وتعالى بالسماء ورَجْعها بالمطر الذي به حياة النفوس والأجسام، وبالأرض وصَدْعها بالنبات، وإخراجها الثمرات والخيرات التي بها الأقوات لكل مقتات، أقسم بذلك على حَقِّيَّة هذا القرآن الكريم الذي به حياة الأرواح والقلوب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ أي: هو الذي يَفصل بين الحق والباطل، فيميز هذا مِنْ هذا، وهو الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، وذلك يتضمن إثبات أنه هو الحق وليس بالباطل، وأنه الجِد كلُّ الجِد، وليس بالهزل، فلا هزلَ فيه ولا باطلَ، ولا عبثَ ولا لعب، بل هو كله حَقٌّ وحقيقة، وفصل وإحكام.

قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم في الحديث: «هو الفصلُ ليس بالهزل».

فلا يجوز أن تُتَّخذ آيات الله تعالى هُزُواً:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

والنهي عن اتخاذ آيات الله هُزُواً يتناول أموراً:

أولاً: سَوق بعض الكلمات القرآنية في مساقات الهزل، أو

المزاح، أو الضحك، أو العبث ـ كما يفعله الزنادقة في مجالسهم.

ثانياً: عدم الاهتمام بأوامر القرآن ونواهيه، بحيث إذا وردت عليه آيات القرآن وفيها الأوامر أو النواهي لم يعبأْ بذلك، ولم يرغب فيما رغَّبه الله تعالى، أَو لم يرهبْ ما حذَّر الله تعالى منه، وكأنَّ آياتِ القرآن في نظره أباطيل أو لهو ولعب، ولا يَرى فيها الحق والحقيقة، والجِدَّ والقول الفصل، وفصل الخطاب؟

قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

ثالثاً: الاحتيال على نصوص القرآن الكريم، بأن يصرفها عن معانيها الواردة في السنة أو عن الصحابة، أو عن السلف الصالح الذين تَلَقَّـوْها عن صدر هذه الأمة ـ يصرف تلك النصوص إلى ما تهواه نفسه، فيتلاعب في الأحكام ويحلِّل الحرام، إلى ما وراء ذلك، وكأن نصوص الآيات القرآنية لُعبة بين يديه يقلِّبُها كما يهوى ويريد.

رابعاً: عدم الثقة واليقين بما أخبرت عنه آيات القرآن الكريم من أُمور غيبية، أو حوادث كبرى، يستبعد ذلك من الوقوع.

وذلك مثل ما رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوته إلى تبوك إذْ نظر إلى أُناس بين يديه من المنافقين يقولون: أَيرجو هذا الرجل أن تُفتح له قصور الشام وحصونها! هيهات هيهات!

فأَطلَع الله نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك فقال: «احبِسوا عليَّ هؤلاء الرَّكب».

فأتاهم ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قلتم كذا وكذا».

قالوا: يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب.

فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

فالنهيُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ﴾ يقضي أن يكون موقف الإنسان مع القرآن موقفَ الجادِّ الحازم الجازم، المهتم كل الاهتمام بالتمسك بكتاب الله تعالى، والملتزم بآياته.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ صدق الله العظيم.

هذا وقد تمَّ جمع هذا الكتاب ونسخه في التاسع والعشرين من رمضان المبارك ١٤٠١ هـ.

نسأل الله تعالى القبول، وأن ينفع به العباد إنه هو السميع العليم.

وصلَّى الله تعالى على إمام الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، في كل وقت وحين، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً أبد الآبدين.

والحمد لله رب العالمين

* * * *

* * *

* *

*